الفصل التاسع

أخطاء شائعة

كان للأساطير والخرافات والتقدم البطىء للعلوم الطبية فى الماضى أثرها فى خلق وإذاعة اعتقادات خاطئة عن القلب وأمراضه. وعند بعض المرضى تكون هذه الاعتقادات عقبة كبرى فى سبيل العلاج الناجع الشافى. خذ مثلا حالة رجل عرفته ، لقد قيل له عندما كان طفلا أن عنده لغطاً بالقلب ، ورسخ فى ذهنه أن قلبه قد يتوقف عن العمل فى أى وقت من الأوقات ، ولذلك عاش حذراً قلقاً ، وامتنع عن استشارة الأطباء. ولم يعرف قط أن اللغط عنده اختفى بعد ذلك.

وفى سن الخمسين ، أصيب بحالة انسداد بسيطة للشريان التاجى. وقد سر الطبيب الذى أشرف على علاجه لما أظهره من استعداد للبقاء فى الفراش عدة أسابيع ، لأن معظم المرضى يقلقون ويطالبون بمغادرة الفراش حالما تتحسن حالتهم. ولكنه عندما نصحه الطبيب بمعاودة النشاط باعتدال ، رفض وأظهر ما يؤكد اعتقاده بأن حالته ميئوس منها ، وقد تجاهل جميع ما وجه إليه من أقوال مطمئنة ، واعتقد أنها ليست سوى خداع قصد به أن يقضى لحظاته الأخيرة فى سلام.

* * *

ولم يمض وقت طويل حتى كان يتوهم مختلف الأعراض التى تصاحب

أمراض القلب : ألم فى الصدر ، خفقان ورفرفة فى منطقة القلب ، صداع ، وإحساس بالضعف والهزال . ولم يكن يغادر غرفته ؛ وكان يصر على أن يحيط به أفراد عائلته . وقد رفض أن يذعن لنصيحة طبيبه باستشارة أخصائى ، قائلا إنه كان يعرف جيداً أن نوبة قلب قاتلة سوف تكون خاتمة حياته .

واتفق أن شريكه فى العمل — وكان المريض يكن له احتراما شديداً — زاره وروى له قصة قريب له كان يشكو من نفس الأعراض التى يشكو منها ، وعندما فحصه أخصائى أكد له أنه لا يشكو إلا من اضطراب فى الهضم ، يؤدى إلى ظهور هذه الأعراض .

وقد أقنعته هذه القصة بضرورة استشارة أخصائى . وأوضح له الأخصائى طبيعة مرضه توضيحاً دقيقاً كان له أثره فى طرد الأفكار الخاطئة من ذهنه ، وأصبح فى وسعه أن يحيا حياة عادية بالنسبة لحالة قلبه .

وبعض العقائد الخاطئة الشائعة عن مرض القلب ليست سوى رواسب من آراء كان يؤمن بها بعض أفراد المهنة الطبية ، وأوهام أخرى انبعثت من أساطير أو من قصص غريبة يؤمن البعض بصحتها إيماناً عميقاً ، أو من تفسيرات خاطئة للواقع . وكثير من هذه العقائد يسىء إلى المريض ، وخاصة إذا حال بينه وبين العلاج الناجع للعلة التى يشكو منها فى قلبه .

ولقد أمكن تفنيد بعض هذه الأوهام فى سياق الحديث عن أمراض القلب المختلفة . ولكنه قد يكون مفيداً — ولو اعتبر ذلك تكراراً — أن نضمنها فصلا خاصًّا ، وأن نبين السبب فى أنها خاطئة . ونحن لا نزعم أن القائمة كاملة ، ولكنها تتناول معظم هذه الأوهام وأكثرها شيوعاً .

مرض القلب فى جميع الحالات غير قابل للشفاء :

— لقد بينا أن بعض هذه الأمراض قابل للشفاء ؛ ولكن كثيرين من المرضى يخشون أن يتعذر عليهم استئناف نشاطهم العادى . حقًّا إنه فى حالات كثيرة من مرض القلب لايمكن تحقيق الشفاء التام ، ولكنه فى معظمها يكون من الميسور اتباع نظام خاص يؤدى إلى قدر معقول من الحيوية والنشاط

مرض القلب لا مفر منه فى بعض العائلات نتيجة للوراثة :

— يبدو أن هناك استعداداً — يحتمل أن يكون وراثيًّا — يجعل بعض الناس أكثر عرضة للإصابة بمرض القلب . . ولكنه مهما يكن من أمر ، فإن هذه الحقيقة لا تحول دون تفادى الإصابة ، أو التخفيف من حدتها .

ولما كان مرض القلب ليس منتشراً فى جميع أنحاء العالم ، فإن ثمة ما يبرر الاعتقاد بأنه ليس حالة عادية طبيعية ، وإن البحث عن أسبابه وطرق علاجه سوف يبين إذا كان المرض — أو لم يكن — وراثيًّا .

مرض القلب إما أنه يرجع أصلا إلى اضطراب عاطفى ، أو أنه يرجع كلية إلى اضطراب عضوى :

— الواقع أن الحقيقة تقع فى نقطة ما بين هذين الطرفين المتناقضين ، وطبيعى أنه ليس ممكنا أن نشرح كائنا بشريًّا حيًّا بحيث يمكن أن ندرس كلا من حياته العاطفية وتكوينه البدنى على حدة . إن العقل والجسم

يتفاعل كل منهما مع الآخر . ويؤثر كل منهما فى الآخر ؛ ويساعد الواحد منهما أو يضر الآخر . وواضح أن ألوان الصراع العاطفى تلعب دوراً فى مرض القلب ، إذ أن بعض الأعراض سيكولوجية بحتة . ولكن يلاحظ من ناحية أخرى أن الجانب الأكبر من أمراض القلب يرجع إلى أسباب عضوية بحتة . ومن حسن الحظ أن عدد الأطباء الذين يعالجون الآن مرضاهم — باعتبار أن الجانبين النفسى والعضوى وحدة واحدة لا تتجزأ — يتزايدون يوما بعد آخر .

مرض القلب نتيجة لمدنيتنا المعاصرة :

— هذه العقيدة تستند على ما يلاحظ من أن نسبة إصابات القلب فى المجتمعات البدائية البسيطة أقل بكثير من المجتمعات المتحضرة التى تسودها الاضطرابات النفسية والعاطفية فى كثير من جوانب الحياة فيها . على أن هذه الظاهرة ترجع فى الواقع إلى أن المدنية قد زادت متوسط العمر العادى ، بحيث إن الملايين من الناس ممن كان يتخطفهم الموت نتيجة الأوبئة والأمراض وسوء التغذية وعدم اتباع القواعد الصحية ، أصبحوا يعيشون الآن إلى السن التى يبدأ فيها عادة مرض القلب . هذا إلى أنه ليست لدينا أدلة قوية على أن المجتمعات البسيطة قد تخلصت من الإصابة بأمراض القلب بسبب ما يتناولونه من الغذاء أو بسبب أسلوب الحياة .

مرض القلب يكون عادة نتيجة الإفراط فى أوجه النشاط المختلفة :

— هذا تفسير خاطئ لما يطالب به المرء — إذ يصاب مرة بأحد أمراض

القلب – من تفادى الإفراط فى جميع أوجه النشاط . وقد كان طبيعيا قبل أن يكتشف أثر الإفراط على مرضى القلب – سواء فى الطعام أو الشراب أو التدخين أو السهر وما إلى ذلك – أن نعزو المرض للإفراط . . ولكن الشيء الذى يمكن تأكيده الآن أن مرض القلب يأتى أولا ، وأن الإفراط يسيء الحالة فقط ؛ ولكنه لا يسببها أصلا .

القلب عضو دقيق ضعيف سهل التأثر بمختلف المؤثرات :

– أما لماذا يسود هذا الوهم ؛ فهذا سر غامض . . فطالما أن القلب – أصلا – عضلة ، فإنه ينبغى أن يكون واضحاً أن التمرين المتواصل للقلب يجعله غاية فى القوة . إننا نعرف جميعاً أن عضلات الذراعين والصدر والكتفين تنمو وتتقوى بالعمل الشاق عند حاملى الأثقال مثلا ، ومع ذلك فإننا نخفق فى تطبيق هذه القاعدة على القلب . فمنذ ما قبل الولادة ببضعة شهور حتى الموت ، يستمر القلب فى مواصلة انقباضاته المنتظمة ، وهو لا يستجم أبداً لأكثر من جزء من الثانية ؛ وهذا فوق طاقة عضلات الجسم الأخرى . إن القلب « بطل رياضى » فى حالة تدريب دائم ، ولكنه فى حين أن أقوى الأبطال يضعف نشاطهم مع الزمن ، فإن القلب يكون عادة من القوة والنشاط فى سن الخمسين كما هو فى سن العشرين .

إذا أصيب القلب بجرح ، أدى ذلك دائماً إلى الوفاة :

– إن القلب عضو قوى الاحتمال ، عرف أنه يقاوم رصاصات البنادق

وطعنات الخناجر والسيوف . وتشفى الآن مثل هذه الجراح إذا عالجها جراح ماهر فى الوقت المناسب . ومنذ بضع سنوات ، كان صبى يلعب مع رفيق له ، فسقط فوق سكين ثقبت قلبه ، وعندما نقل إلى المستشفى كان قلبه ما يزال ينبض نبضاً ضعيفاً ، ومن حسن الحظ أن كبير الجراحين كان مستعداً حينذاك لإجراء الجراحة على الفور . وعندما فتح الجراح صدر الصبى وكشف عن القلب ، بدا فى أول الأمر وكأنه لم يصب بشىء . . ولكن الدم كان قد انبثق وتجلط ببطء خلف القلب فى غلافه الواقى المعروف باسم « التامور » وأزيل الدم المتجمد بسهولة ولكن الجرح نفسه لم يعثر عليه . إن الأنسجة كانت قد التأمت بسرعة فوق طعنة السكين . وقد كبر الصبى ، وهو يفاخر الآن بقوته ، وثمة ندبة كبيرة فى صدره ، هى تذكار الحادث الوحيد .

الموت بسبب أمراض القلب دائما فجائى :

ـ هذا صحيح فقط بالنسبة لبعض حالات نادرة من أمراض القلب ، فمعظم أمراض القلب مزمنة . . لا تغزو القلب بنفس العنف والمفاجأة التى تحدث فى حالة جلطة دموية فى المخ مثلا ، باستثناء الحالات غير العادية نسبياً التى وصفناها من قبل .

الرياضة العنيفة تؤذى القلب ، وخاصة بعد انقضاء سنوات الشباب الأولى :

ـ عندما يقع رجل متوسط العمر أو رجل متقدم فى السن ميتا وهو

يلعب التنس ، أو وهو يجرى لكى يلحق بقطار ، أو أثناء الصعود بحمل ثقيل على السلالم ، فإن وفاته غالباً ما تعزى إلى ما بذله من جهد ، وغالباً ما يتذكر المرء بعد سماعه مثل هذه الأنباء ما قاله « دونالد نلسن » وهو من كبار رجال الأعمال ومن ذوى القوة البدنية الفائقة رغم بلوغه سن الستين : « إن الرياضة الوحيدة التى مارستها خلال العشرين سنة الأخيرة هى المشى فى جنازات أصدقائى الأبطال الرياضيين .

ومع ذلك فإنه — كما أسلفنا — ليس هناك تقريباً أى نشاط بدنى يمكن أن يجهد قلباً سليما ، وبالتالى أن يسبب عطباً له .

إن عضلات الجسم الأخرى تكف عن العمل قبل أن يستسلم القلب للانهيار بوقت طويل . إننا نتوقع الخطر حقيقة عندما يكون القلب مريضاً ، فعندئذ يمكن أن يسبب الجهد الزائد انهياراً . ومهما يكن من أمر ، فإن الجهد يعجل النوبة عادة بضع دقائق أو ساعات أو على الأكثر أيام لكنه لن يكون العامل المباشر المسبب لها . وحتى المصابين بأمراض القلب يمكن أن يواصلوا قدراً معيناً من الرياضة . ولكن طبيعة هذه الرياضة ومقدارها يتوقف إلى حد كبير على حالتهم الصحية ، وعلى نوع الرياضة الذى تعودوا عليه قبل الإصابة بالمرض .

المصابون بأمراض القلب يعيشون سنين أطول لو تجنبوا بذل أى جهد :

— هذا صحيح فقط فى الحالات المرضية المتقدمة للقلب . أما فى الحالات العادية ، فإن مثل هذه القيود غير الضرورية تؤثر فى الروح

المعنوية للمريض وكذلك فى حالته البدنية . إن ضرورة اهتمام مريض القلب بنفسه لا تعنى الاعتزال عن الناس والتوقف عن كل نشاط .

المشروبات الكحولية والتبغ والقهوة مثيرات للقلب :

ـ ناقشنا فى الفصول السابقة فوائد ومضار هذه المكيفات . والواقع أن آثارها تختلف باختلاف الأشخاص . فالبعض مثلا تسرع كثيراً ضربات قلوبهم بعد بضع رشفات أو فناجين من القهوة ؛ وبعضهم تسرع قلوبهم قليلا ، وآخرون لا تسرع إطلاقاً . وأسباب الاختلاف فى أثرها من شخص لآخر مجهولة ، وكذلك الأسباب التى تجعل البعض يكتسبون مقاومة للمشروبات الكحولية أو القهوة .

• • •

إن الجرعات الصغيرة من المشروبات الكحولية تفيد فى بعض أمراض القلب لأنها توسع الأوعية الدموية وتريح أعصاب البعص ، أما التدخين فليس له أى أثر مفيد . ولكن المنع الإجبارى عند المدخن المدمن قد يكون أكبر ضرراً من أثر التدخين القابض على الأوعية الدموية ـ ونفس الشىء صحيح بالنسبة للقهوة والشاى :

لغط القلب ، والضربات غير المنتظمة ، علامة أكيدة لمرض القلب :

إن الطبيب وحده يستطيع بالفحص الدقيق أن يحدد ماذا وراء اللغط أو الضربات السريعة أو البطيئة ، والضربات غير المنتظمة ، أو الضربات « المنطوطة » صحيح أن لغط القلب ، وعدم انتظام ضربات القلب ،

هى علامات مميزة لأمراض معينة من أمراض القلب ، ولكنها قد تظهر أيضًا عند أشخاص ، قلوبهم سليمة جدًا . ولكنه إذا كان هذا الاضطراب مستمرًا فإنه ينبغى استشارة الطبيب .

إن اللغط أشبه بضجيج آلة السيارة الذى يصدر أحيانًا عن آلتها . ويعرف سائق السيارة أن معظم هذه الأصوات لاتعنى شيئا وسوف تختفى . فإذا لم تختف ، اعتمد على الميكانيكى فى تقرير السبب المؤدى إليها .

* * *

الألم فوق القلب علامة أكيدة لمرض القلب :

— إن مثل هذا الألم يغلب أن يكون نتيجة هواء زائد وتقلص عضلى فى الجهاز الهضمى . إن ألم الصدر فى الجانب الأيسر يغلب ألا يكون نتيجة مرض القلب . فألم القلب الحقيقى يكون عادة احساسا بالضيق والانقباض والضغط ، موقعه وسط الصدر . ولما كان الألم الناشئ عن حالة مرضية فى القلب ، والألم الناتج عن غازات المعدة يتشابهان دائما ، فإنه من الحكمة استشارة الطبيب للكشف عن الحقيقة .

رسام القلب (أو أشعة ×) تكشف يقينا عن أمراض القلب :

— إن الطريقتين وسيلتان مفيدتان للتشخيص ، ولكنهما ليستا كل شىء . . فالخطوط البيانية التى يسجلها الرسام الكهربائى ، إذا فسرت تفسيراً صحيحًا يمكن أن تعطى الطبيب معلومات كثيرة عن عمل قلب معين ، ولكن القلوب المريضة أحيانا تعطى تسجيلات عادية والقلوب

العادية أحيانا تعطى تسجيلات غير عادية . . إن الخطوط البيانية التى يسجلها الرسام الكهربائى هى خير وسيلة لإعطاء معلومات عن المؤثرات الكهربائية ولكنها لا تظهر أى شىء عن القوة الحقيقية لعضلة القلب . إنها تفيد عندما تكون هناك قراءات سابقة لظهور الحالة ، حتى يتسنى إجراء مقارنات بينها : وعندما تستعمل مع الوسائل التشخيصية الأخرى . إن أشعة « × » تظهر الكثير عن حجم القلب وشكله وموضعه ، ولكنها لا تظهر إلا القليل — وقد لا تظهر شيئاً — عن قدرة القلب على أن يدفع الدم بقوة وانتظام .

الجلط الدموية تميت دائماً على الفور :

— إن معظم الجلط يقاومها الجسم ويتفادى جميع آثارها عن طريق « جهاز الإصلاح » بالدورة الدموية ، حتى إنه لايكاد يحس المرء بحدوثها ، ومعظم حالات الجلط الدموية الأخرى تسبب ألما أو مرضًا ، ولكنها لاتؤدى إلى العجز . وبقيت حالات قليلة تؤدى إلى عجز جزئى أو عجز كامل ، وبعضها مميت .

فعندما تسد جلطة وعاء دمويًّا فى موضع يتعذر معه أن تقوم الأوعية المتصلة بالوعاء المصاب عن أن تقوم بوظيفتها ، أو أن الانسداد يشغل مساحة كبيرة جدا بحيث يصعب على الجسم مقاومة أثره من تلقاء نفسه ، فإنه يتحتم الاستعانة بالوسائل الطبية . وسوف ينصح المريض بالراحة أثناء تماثل الأنسجة المصابة للشفاء وقيام الجسم بإعداد دورة جانبية

تقوم بوظائف الأوعية المعطلة . والخلط لا تؤدى إلى الوفاة إلا إذا سدت وعاء كبيراً فى المخ ؛ أو القلب ؛ أو الرئتين .

ارتفاع ضغط الدم يسبب انفجار القلب أو الاوعية الدموية :

— إن انفجار وعاء دموى بالجسم ليس شيئًا غريبًا على الأطباء ؛ ولكنه ليس العطب العادى الذى يسببه ضغط الدم العالى . إن الأوعية الدموية فى حالة الصحة قوية ؛ وهى إلى ذلك مرنة . وهى لاتنفجر إلا بعد العطب الكبير ؛ إذا اقترن بأعلى ضغط ممكن للدم ، أما تصدع القلب فإنه يحدث فقط عندما تضعف جدره إلى حد كبير وترق كثيراً بسبب إصابة أو مرض .

الإغماء علامة أكيدة لمرض القلب :

— إن الإغماء ينشأ فى معظم الحالات نتيجة عدم توفر القدر الكافى من الدم والأكسجين فى المخ . وغالبًا ما يكون ذلك نتيجة انعكاسات عصبية ، كما هى الحال عند أولئك الذين يغمى عليهم عند رؤية الدم ، أو عند مشاهدة حادث مؤلم ، أو عند تلقى أنباء مفاجئة مفزعة . والإغماء يحدث أيضًا نتيجة آلام مبرحة ، أو بعد الوقوف مدة طويلة فى وضع واحد ، مما يسبب تجمع الدم بالتدريج فى الجزء الأسفل من الجسم ، وبذلك يحرم المخ من نصيبه منه . إن الإغماء يحدث نادراً جدًا فى حالات أمراض القلب ، وإن كان مرضى القلب قد يغمى عليهم للأسباب التى ذكرناها . وهناك فقط حالتان من حالات

القلب — وهما نادرتان — قد يؤديان إلى الإغماء، ونسبة صغيرة فقط من المصابين بهاتين الحالتين يمكن أن تتفاقم عندهم حالة الإغماء فيفقدون وعيهم .

النساء المصابات بمرض القلب لايستطعن أن يجزن مرحلة الحمل دون أن يعرضن حياتهن للخطر :

— إن كتبًا كاملة كتبت عن القلب العادى والقلب المريض أثناء الحمل ، ولكن أهم جانب فى الموضوع هو أن المقدرة على حمل الأطفال سوف تتوقف على مقدار العطب الموجود بالقلب قبل أن يحدث الحمل . وواضح أن العبء على القلب يزداد بنسبة قليلة فى الشهور الثلاثة الأولى من الحمل ، ويأخذ فى الزيادة أسبوعًا بعد آخر حتى يبلغ الذروة فى نحو نهاية الشهر الثامن ، فالدم ينبغى أن يدفع بقوة لا لكى يسد فقط الاحتياجات المتزايدة للأم ، ولكن حاجات الجنين أيضًا .

هذا إلى أن الجهد على القلب فى حالة الحمل يختلف عن الجهد الملقى على القلب حتى بواسطة الرياضة العنيفة ، لأن الرياضة توقف بعد حين ، أما القلب فلابد أن يستمر فى عمله متحملا العبء الإضافى المتزايد كل دقيقة خلال مدة الحمل .

* * *

ولما كانت معظم النساء تنجب الأطفال بعد سن العشرين وقبل سن الأربعين ، ومرض القلب الرئيسى فى هذه الفترة من العمر

منشؤه روماتيزمى . فالمشكلة فى الغالب هى مشكلة القلب المتأثر بالحمى الروماتيزمية . ومن حسن الحظ ، إنه قد أجريت تجارب كافية على هذا المرض ، وعلى مقدار الجهد الذى ينبغى أن يبذله قلب مصاب بهذا المرض أثناء الحمل ، بحيث إنه من الميسور الآن أن نحدد على الفور بدقة كافية إذا كانت امرأة مصابة بقلب روماتيزمى يمكن أن تحمل بدون خطورة ، أو أنه ينبغى أن ترجئ ذلك حتى تتحسن حالة قلبها ، أو أنه ينبغى أن تتجنب الحمل إطلاقاً . والعوامل التى ينظر إليها الطبيب بعين الاعتبار فى هذه الحالات هى :

١ ــ هل تضخم القلب أم لم يتضخم ؟ ، وإلى أى حد ؟ ، وذلك لأنه يمكن القول بوجه عام أنه بقدر تضخم القلب تكون خطورة مرض القلب .

٢ ــ هل توجد أعراض تدل على أن إمكانيات القلب قد ضعفت قليلا أو كثيراً ؟

٣ ــ هل تستطيع المرأة ــ أو لا تستطيع ــ أن تمارس رياضة عادية دون ظهور دلائل اضطراب فى دقات القلب ؟

٤ ــ هل هناك اضطراب أو عدم انتظام له أهميته فى ضربات القلب ؟

٥ ــ مراجعة دقيقة لتاريخ المريض ، لكى يستنتج منها إذا كانت ثمة أحداث توحى بضعف فى القلب .

وطبيعى أن هدف الفحص والدراسة هو :

١ ــ أن يحدد الطبيب إذا كانت المرأة تستطيع أن تلد طفلا حيًّا

٢ ــ أن تستمر طوال مدة الحمل وهى بصحة جيدة .

٣ ــ ألا يهددها الحمل بعجز تام أوجزئى بعد انتهاء مدته ولو ببضع سنوات

ومالم تكن الإجابات عن هذه النقط الثلاث بالإيجاب ؛ فإن الحمل ينبغى أن يرجأ حتى يتم ذلك .

* * *

ومما يدعو للدهشة أن عدداً كبيراً من النساء الشابات اللاتى يعرفن أنهن كن مصابات بروماتيزم فى القلب فى المراحل الأولى من أعمارهن ، لا يستشرن أطباءهن قبل الحمل ؛ وإنما فقط بعد أن يكن فى الشهر الثالث أو الرابع من الحمل . وفى حالات عديدة يكون مقدار إصابة القلب غير كافٍ لأن يسبب قلقاً ، ولكنه فى حالات عديدة تكون هناك علامات واضحة لخطر محتمل ، حتى إن الوسيلة الوحيدة لحماية حياة المريضة أو تفادى إصابتها بالعجز إنهاء الحمل بأسرع ما يمكن بطرق صناعية .